حب الوطن في الشعر العربي و الأردي

(دراسة تحليلية مقارنة لنماذج شعرية)

A Comparative Analytical Study of Patriotism in Arabic and Urdu Poetry

* حافظ محمد أسلم

**د/نيازمحمد

Abstract

Poetry represents the inner feelings of humans and it reaches to its culmination with the purity and severity in feelings which results in creation of the finest literature. At the other hand, loyalty and loving the homeland is embedded in human nature, which appears in more serious manner when a man is located far away from his motherland .

Arabic is our religious language while Urdu is the national one. In the current paper, the patriotism has been analyzed in the both Arabic and Urdu poetry with the examples. Moreover, the poetry of the companions of Prophet of Islam is also discussed on the same subject.

إن حب الوطن والحنين إليه عاطفة فطرية لايتعرى منها قلب أي ذي كبد رطب فكيف يمكن أن يخلو عنها قلوب الشعراء الذين يجلبون حظاً وافراً من الذوق السليم والحس المرهف، ومن القدرة على التعبير الصحيح عما يكمن في قلوبهم لأوطانهم، وعن بيان ما تتضمنه طبيعة وطنهم، بل عندهم حب الوطن أكثرمنه عند غيرهم، فهذا الذى سنراه في النماذج المدروسة في هذا البحث الوجيز بإذن الله تعالى. ثم اخترنا النصوص الشعرية من الأدبين لأسباب أهمها:إن الأدب المقارن يتناول الموازنات بين اللغات والآداب من ناحية أو عدة نواح لفوائد كثيرة منها:

المساعدة في تقوية التقارب بين اللغتين أو الأدبين، وتوثيقه الذى يتسبب في الاتصال بين أصحابها التشجيع على دراسة مقارنة بين اللغات والآداب، التسهيل لفهم الآداب المختلفة الذي له شتى الفوائد الأدبية والعقدية والمالية وغيرها. فنرجو أن يكون هذا البحث من البحوث النافعة في مجال الأدب المقارن عامة وفي المقارنة بين الأدبين العربى و الأردي خاصة. ويتناول هذا البُحَيث أربعا من نواح الحنين إلى الوطن من الأدبين العربي والأردي مع تمهيد موجز متضمن بعض نماذج لنفس الموضوع من القرآن والحديث وآثار الصحابة كما سيأتي:

حب الوطن في القرآن الكريم و الحديث النبوي و آثار الصحابة:

لا شك في أن الله سبحانه وتعالى قد وضع في قلب البشر مجموعة من العواطف تؤثر في تعامله مع الأشياء المحيطة به،وتأتي على رأس هذه العواطف البشرية عاطفتان مهمتان هما: عاطفة الحب وعاطفة الكره، فإذا كانت علاقة الإنسان الانفعالية الناتجة عن الميل إلى شيء ما تكون لديه عاطفة الحب وإن لم يكن كذلك فتوجد عنده عاطفة الكره فإذا كان الأمر كذلك فلا شيء أقرب وأحب إلى نفس الإنسان من وطنه الذي تربى فيه وشرب ماءه وتنفس في هواه حتى أصبح جزأً منه فلا يمكن أن يستغني عنه أويفارقه بسهولة.

---

* الباحث بمرحلة الدكتوراه بكلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد

** مدير مركز الدراسات الدينية،جامعة العلوم والتكنولوجيا، كوهات

ونذكرفيما يلي بعض المظاهر لعاطفة حب الوطن من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال الصحابة.وقد بيّن الله سبحانه وتعالى قدر حب البشر لوطنهم والحنين إليه بأحسن أسلوب، وهو:

1.قرن مغادرة الإنسان لوطنه بمفارقة الروح للجسد:

كما في قوله:وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ[1]. فقد جمع الله سبحانه وتعالى بين الخروج من الديار ومفارقتها وقتل النفس ومفارقة الروح للجسد، فلا شيء هناك أشد ألماً للإنسان من قتله لنفسه. فثبت من سياق النص القرآني أن مفارقة الديار والأوطان تشبه مفارقة الروح للجسد في المشقة والتأذي.[2]

2.قرن المساكن بأحب الأشياء الدنيوية إلى الإنسان:

وعندما ذكر الله سبحانه وتعالى كل ما يحبه الإنسان وما يتعلق به في هذه الحياة الدنيوية من الآباء والأبناء والأقارب والعشيرة والأموال والتجارة عطف عليها المساكن التي هي جزء من الوطن الكبير وذلك في قوله تعالى: قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا[3]. فيفهم من الآية المذكورة أن حب المساكن ليس بأقل من حب الآباء والأبناء وغيرهم.

3.الجمع بين مفارقة الديار والأبناء:

كما في قصة الملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبي لهم أشمويل من بني هارون واسمه بالعربية إسماعيل على قول الأكثرين[4]حينما غلب عليهم عدو لهم: ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فأجابهم نبيهم: هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا، فأجابه القوم: وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا[5].وقد جمع في قولهم المحكي عنهم في القرآن الكريم بين الإخراج من الديار والمفارقة عن الأبناء حتى قدّموا الديار على الأبناء، فيتضح منه أن حب الديار عندهم كحبهم للأبناء بل أشد منه.

ويذكرالقرآن الكريم لوعة النبي صلى الله عليه وسلم لمكة: مولده ومنشئه في قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ.[6]

وقال سيدناعبدالله بن عباس رضي الله عنهما في شرح معنى:لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ أي: لرادك إلى مكة، كماأخرجك منها.[7]

فتُلاحظ منه تسلية الله له بشدة حنينه صلى الله عليه وسلم إلى وطنه الأول وهو مكة المكرمة حتى حقق الله وعده وردّه إليها بعد ثماني سنوات فاتحاً لها ولأهلها. فهذه النصوص وأمثالها تدل على حب الديار والوطن ومكانتها.

وكذلك نجد كثيراً من الأحاديث التي تصرح بحب النبي صلى الله عليه وسلم لوطنه والشوق إليه، ومنها ما روي:

1.عن عبدالله بن عدي بن الحمراء:

'' أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته بالحزورة من مكة يقول لمكة : والله! إنك لخير أرض الله وأحب أرض إليّ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت''[8]

2ـ وعن عائشة أم المؤمنين قالت:

''دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد منه، وكذلك دعا على الذين تسببوا في مفارقته وطنه بإيذائهم له ولمتبعيه حتى هاجر منه وتركه بقوله: اللهم ألعن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء''[9]

3ـ**وعن عائشة:**

''قدم أُصيل الغفاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قبل أن يضرب الحجاب، فقالت له عائشة : كيف تركت مكة ؟ قال: اخضرت جنابها، وابيضت بطحاؤها، وأغدق إِذْخَرها، وانتشر سلمها، فقال عليه السلام: حسبك يا أصيل! لا تحزني، وفي رواية : ويها ياأصيل! تدع القلوب تقرّ.[10] وفي رواية: فاغرورقت عينا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم وقال:حسبك يا أُصيل لاتحزنّا!'' [11]

ولماهاجر المسلمون من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة أصابت كثيرا منهم الحمى الشديدة لمفارقتهم الوطن، فكانوا يردّدون على ألسنتهم الأبيات والأشعار التي تتضمن أسماء الأماكن والجبال والأسواق حتى أنواع العلوف والحشيش الموجودة في مكة المشرفة التي تدل على ذكرياتهم في مكة وحنينهم إليها كما روي عن عائشة أم المؤمنينرضي الله عنهاقالت: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اشتكى أصحابه واشتكى أبوبكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وبلال، فاستأذنت عائشة النبي صلى الله عليه و سلم في عيادتهم، فأذن لها، فقالت لأبي بكر: كيف تجدك؟ فقال:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي الخُزامي حيث ربتني أهلي
لكل امرئ مصبح في أهــــله والموت أدنى مـــن شـــراك نعله

وسألت عامراعن حاله فأجابني بقوله:

إني وجـــدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه مـــــــن فوقه
كل امــــــــرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمي جِـــــــلده بروقه

وسألت بلالاً، فأجابني بالشعر:

يا ليت شعري هـــل أبيتن ليلة بفج وحولي إذخـــــر وجليل[12]
وهـــــــل أردن يوما مياه مجنة وهـــل يبدونَ لي شامة وطفل[13]

فأجابوهابالأرجاز التي تدل على شوقهم وحنينهم إلى وطنهم، وذلك الحنين والحزن كان سبب مرضهم.

منزلةالوطن في الشعر العربي:

العرب بأسرهم أمة فصيحة سمت نفسها بالعرب لطلاقة لسانهم وقدرة كلامهم وملكتهم على تبيان ما في صدورهم بأحسن أسلوب وشتى الطرق، لذلك يسمون غيرهم بالعجم كأن كلامهم ليس بكلام بل هي أصوات محضة مثل أصوات الحيوانات، وهم قوم تميزوا برهافة الحس ودقة العقل وتدفق العاطفة، فَنُقِلَ عنهم الحب الشديد للوطن والحنين إليه في أحوالالبعد والفراقعنه.

والشاعر أشدهم حبا للوطن وأكبرهم تدفقا للعاطفة وأكثرهم شوقا وحنينا إليه سواء كان بدويّا أوحضرياً، فكيف لا يبكي على ترك وطنه والنزوح عن داره، وكيف لا تزدحم في نفسه أمواج الشوق والحنين والحزن! ولذلك نلاحظ أن هناك فرقاً كبيراً بين بكاء الشاعر وغيره؛ فعندما يبكى غير الشاعر على وطنه ويسكب الدموع عليه يجد الراحة بالبكاء على مصائبه ويلتئم ما أصابته الجروح، فينسى كل ما أصابه بعد حين من الدهر. وأما الشاعر فهو لا يسكب الدموع كغيره بل ينقل به إلى عمل فني صادق ينبع من أعماق وجدانه، فتحس حرارته حين تسمعه أو حين تقرأه وإن مضت عليه مئات من السنين.

وقد مرت العصور الطويلة في القدم التي لم يكن فيها للقبائل العربية ما يمكن أن نطلق عليه وطنا بمعنى السكن الدائم أو الإقامة المستقلة، لأن العرب كما هو معلوم كانوا رحالين ينتقلون هنا وهناك في مواطن عديدة سعياً وراء الماء والكلأ، ولكن لما كانوا يمضون في بعض الأماكن حقبة من الزمن يكون ذلك المكان هو وطنهم، ثم إذا اضطروا إلى الرحيل عنه وقد خلفوا فيه ذكريات خالدة وأياما جميلة. أثارهذا الرحيل في نفوسهم هو الشوق والحنين إليه إذا ما مروا به ثانية وخاصة عند ما تطمس آثار ذكرياتهم وتصبح رسوما وأطلالا. فمن هنا بدأت سنة الوقوف بالأطلال والبكاء على الرسوم، والدعاء لها بالسقيا، واستمرت هذه السنّة منهجا للشعر العربي إلى قرون طويلة.

فإذا كان الشاعر البدوي يحن إلى أطلاله ورسومه، فالشاعر الحضري يكون أشد حنينا إلى وطنه لكونه أعرف لقيمة الوطن، فعندنا شعراء من أهل البدو وكذلك شعراء من أهل الحضر لهم شعر رقيق في الحنين لأوطانهم التي أجبروا على مغادرتها لسبب من الأسباب.وقد أجاد الشعراء وأكثروا في هذا المجال، فهناك قصائد طويلة ومتعددة وقطع كثيرة لا يسمح المقام لاستيعابها، ولكن نذكر هنا نماذج منها تبين الأفكار التي تحتويها، وقد قسمنا هذه النماذج إلى مايلى:

البكاء على فراق الوطن والبُعد عنه

وصف طبيعة الوطن ومدح مظاهر جماله

إثبات أوصاف الجنة للوطن وتفضيله على كل ما سواه

إرسال التحايا الروحية من البعيد إلى الوطن بالصبا أوغيره لإطفاء نار الفراق

وإليكم بعض النماذج لبعض من الألوان المذكورة للشوق إلى الوطن والبكاء عليه

البكاءعلى فراق الوطن والبُعدعنه:

هذا اللون أكثر وأغلب في شعر رثاء المدن. روي أنه لما خرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجُرْهُمي[14] بغزاليّ الكعبة وبحجر الركن فدفنها في زمزَم، وانطلق هو ومن معه من جُرهُم إلى اليمن، فحزِنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلكها حزنًا شديدا. فقال عمرو بن الحارث (بن عمرو) بن مُضاض في ذلك شعرا،وقال ابن هشام[15]: إنه أول شعر قاله العرب، وقال:

وقـــــــائلةوالدمع سكب مبادروقد	شرقت بالدمع منها المحاجـــــر[16]
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا	أنيس ولم يسمر بمكة سامـــــــر
وكنا ولاة البيت مـــــــن بعد نابت	نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
فأخـــــــــــرجنا منها المليك بقدرة	كذلك يا للناس تجـــــري المقادر
وصـــــــــــرنا أحاديثا وكنا بغبطـــة	بذلكعضـــــتنا السنون الغـــوابر
فسحتـــــــــدموعــالعين تبكي لبلدة	بهاحـــرم أمن وفيها المشاعـــــــر
وتبكي لبيت ليسيؤذى حمـــــــامه	يظل به أمنا وفيه العصـــــــــــافر[17]

ونلاحظ من الأبيات المذكورة لوعة الشاعر وحنينه إلى أيامه السالفة التي قضاها في حضن وطنه من خلال تذكر حياته الماضية، ومقارنتها بما أصابه الآن من الغربة والتشرد والجوع والتهدد من قبل الأعداء مع كونه من السادة المجاورين لبيت الله الحرام بمكة المشرفة، فحق له أن يبكي وتسح دموعه ليخفف آلام قلبه عند الذكرى.

ونجد مقدمات المعلقات السبعة طللية تحتوي البكاء على الرسوم الدارسة التي تدل على سنة البكاء على الأطلال وهو ما يمثل رثاء المدن في ذلك العصر مثل معلقة امرئ القيس، وطرفة بن العبد البكري، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة العامري، وعنترة بن شداد وغيرهم. ونذكر هنا بعض الأبيات للاستشهاد من معلقة امرئ القيس حيث تبدأ معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقوفاً بها صحبي عــــليّ مطيّهم يقولون لا تهلك أسى وتحــــمّل[18]

ويكثر أبو قطيفة[19] القول في الحنين إلى وطنه بالمدينة المنورة لما أخرجه ابن الزبير عنها مع من أخرج من بني أمية ونفاهم إلى الشام، فمن ذلك قوله:

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهي إلى القلب من أبواب جيرون[20]

إلى البلاد فما حــــازت قرائنه دور نزحن عــــن الفحشاء والهون[21]

وقد أحسن القول ابن الرُّومي[22] في كشف المعنى وبيان صورة جميلة لعلاقة الشاعر لوطنه وهو ينظر إليه على أنه جسد يحتضن روحه، فالعلاقة علاقة حب شديد وامتزاج جميل لايمكن معه الانفكاك، وكيف لا يكون كذلك، فالوطن سجلّ لحياة الشاعر منذ بدايتها وهو ينظر في مغانيه، فيذكر أوقات الصبا وساعات الشباب التي قضاها فيه:

ولي وطـــــــن آليت ألا أبيعه وألا أرى غيري له الدهـــر مالكا

عهدتُ بها شرخ الشباب ونعمة كنعمـــة قوم أصبحوا في ظلالكا

وقـــــد ألفته النفس حتى كأنه لها جسد إن غاب غودرتُ هالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكـــــــرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا[23]

وصف طبيعة الوطن ومدح جماله:

وهذا اللون كثير أيضاً في شعر رثاء المدن، ونذكر بعض الأبيات من وصف جمال الأندلس، فالمعروف بأن حنين الأندلسين جاء قوياً وصادقاً ومتميزاً، لعل سبب إحساسهم الدافق بالحنين والشوق هو كثرة رحيلهم وتجولهم داخل الأندلس نفسها أوخارجها إلى بلاد بعيدة لطلب الرزق أوالحياة الفاضلة أومجردة الرحلة والاستجمام. فهم في حنين دائم إلى حياة طيبة فارقوها ولذّات متنوعة عاشوها، ونظن أن أهم من ذلك كله هو طبيعة الأندلس التي تأسر القلوب وتجذبها إليها كما يظهر من الأبيات الآتية والتي يقول فيها ابن سفر المريني:[24]

في أرض أندلس تلتذ نعمـــاء ولا يفارق فيها القلب ســـــراء

وليس في غيرها بالعيش منتفع ولا تقوم بحــــق المـــاء صهباء

أنهارها فضـــــة والمسك تربتها والخــز روضتها والدرحصباء 25

وحكى الإمام ابن بشكُوّال[26]عن الشيخ أبي بكر بن سعادة أنه دخل مدينة طليطلة مع أخيه على الشيخ الأستاذ أبي بكر المخزومي، فسَألَنَا من أين؟ فقلنا: من قرطبة. فقال: متى عهدكما بها؟ فقال: الآن وصلنا منها. فقال: اقربا إلي أشم نسيم قرطبة. فقربنا منه فشم رأسي وقبَّلَه وقال لي: اكتب

أقرطبة الغراء هـــــــل لي أوبة إليك وهل يدنو لنا ذلك العهد

سقى الجانب الغربي منك غمامة وقعقع في ساحات دوحاتك الرعد
لياليك أسحار وأرضك روضـــة وتربك في استنشاقها عنبـــورد[27]

إثبات أوصاف الجنة للوطن وتفضيله على كل ماسواه:

قال علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد[28]في تفضيل الأندلس على مصر: لما قدمت مصر والقاهرة أدركتني فيهما وحشة، وأثار لي تذكر ما كنت أعهد بجزيرة الأندلس من المواضع المبهجة التي قطعت بها العيش غضاخصيبا، وصحبت بها الزمان غلاما، ولبست الشباب قشيبا، فقلت:

هذه مصر فأين المغـــــــرب مـذ نأى عني دموعي تسكـب
فارقته النفس جهلا إنـمــــــــا يعــــرف الشيءإذا ما يذهـب
وجنته جنات عـــــدن وفي لظى فؤادي ومالي من ذنوب تعـذب
فيا ليت مـــــا ولى معاد نعيمـه وأي نعيم عند مـــن يتغرب [29]

ولله در ابن خفاجة حيث يقول في وصف طبيعة الأندلس، ويبالغ فيه، ويمحص من مناقبها التي فاقت كل حصر، ووصف حتى لايملك إلا أن يفضلها على جميع بقاع الأرض، ولا يرضى بديلا عنها أبداً بل اشتد شوقه إلى أن رجح الأندلس وحسنها على المأوى حيث قال:

إنللجـــــــــــنة بالأندلـس مجتلى حـــــــــــسن وريّانفسٍ
وإذا مـــــــا هبّت الريح صبا صحتُ واشوقي إلى الأندلـس[30]

وهناك صورة بديعة جدا لعاطفة حب الوطن في قول أمير الشعراء أحمد شوقي حيث يقول:

وطني لو شغلت بالخـــلد عنه نازعتني إليه في الخــــــلد نفسي
يا وقى الله مـــــــا أُصبّح منه بخميل، وشاكر فضل عـــرسي[31]

فهذه هى العاطفة الصادقة والحب الشديد للوطن الذي يصدر من قلب شاعر بعيد عن وطنه في المنفى. فالشاعر لاينسى وطنه لسبب البعد عنه بل يزداد اشتعالا وحبا له حتى أنه لو كان في جنان الخلد التي هي أعظم مقصود للمسلم، لاشتاقت نفسه إلى تراب وطنه.

إرسال التحيات من البعيد إلى الوطن بالصبا أو غيره لإطفاء نار الفراق عنه:

ونرى هذا اللون من العاطفة في شعر أبي عبد الله التلمساني[32] الذي فارق وطنه تلمسان في بلاد المغرب إلى غرناطة في الأندلس، قد غلب عليه حب الوطن والشوق إليه وهو قد يئس من رؤية بلده مرة ثانية، فانتقل إلى طريقة أخرى وهي استجلاب النوم أو التناؤم ولو في ذلك المضجع الذي كأن مهاده هو الشوك كي يمر ببلده في ذلك النوم، وهو يرسل السلام والهدايا إلى وطنه لعله يرد تحيته بأحسن منها، فيخفف مرارة ما أصابه من جوى الشوق وشدة الوجد حيث يقول:

سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء فعند صباها مـن تلمسان أنباء
وأهـــدي إليها كل حــــــين تحية و في رد إهداء التحية إهداء[33]

مكانة الوطن في شعر اللغة الأردية:

لايقل شعر اللغة الأردية قيمة، ولا يتخلف عن شعر أي لغة من لغات العالم في أغلب الألوان والموضوعات الأدبية، ونرى فيما يأتي بعض النماذج للحنين إلى الوطن والشوق له، والبكاء على الفراق عنه على منوال ما مضى من شعر اللغة العربية.

البكاء على فراق الوطن:

قال مرزا محمد رفيع سودا (1125-1195ه/1713-1781م) [34] في البكاء على الوطن ناظراً إلى البلبل المضطرب والمتململ البعيد عن الوطن ومقارناً حاله بحال ذلك البلبل في حالة الغربة وهو يقول:

بلبل کو تڑپتے میں نے دیکھا چمن سے دور یارب نہ کیجیو تو کسی کو وطن سے دور [35]

يقول: رأيت بلبلاً يتململ لبعده عن البستان، قلتُ: يارب لاتبعد أحداً عن وطنه. كأن الشاعر يريد أن يبين شدة ألم الفراق عن الوطن ببيان تململ البلبل لبعده عن البستان الذى يحل محل وطنه.

يروي محمد حسين آزاد[36] بأن مير تقى مير(ت/1810م) [37] قد أنشد الأبيات الآتية في المطارحة الشعرية التي أقامهاأهل مدينة لكنو وهو يذكر فراقه عن وطنه "دلهي":[38]

دہلی جو ایک شہر تھا عالم میں انتخاب رہتے تھے منتخب ہی جہاں روز گار کے
اس کو فلک نے لوٹ کے ویران کر دیا ہم رہنے والے ہیں اسی طرح اجڑے دیار کے [39]

ترجمة: كانت الدهلي مدينة مختارة في العالم كان يسكنهاخيرة الناس النخباء في العالم؛ وقد غارتهاالسماء ودمّرتها. وها نحن سكان تلك الديار المدمرة. ونلاحظ أن الشاعر قد رثى على دمار مدينته، وبَيَّن مكانتها المرموقة بين مدن العالم الأُخرى، وأسند دمارها إلى السماء بصراحة.

وصف طبيعة الوطن ومدح جماله في الشعر الأردي:

قال ظهور الدين شاه حاتم (1699 – 1791م)[40] في وصف "الدهلي":

نہیں ہے شہر دہلی ہے گلستان چمن سے جس کا خوشتر ہے بیاباں
جدھر دیکھو تدہر ہر کوچہ بازار ہوا ہے گل رخاں سے صحن گلزار
سواد ہند کا جس کو مزہ ہے وہ لذت سے جہاں کی آشناں ہے
وہ بے شک وقت کا شاہ جہاں ہے جو کوئی متوطن ہندوستاں ہے [41]

يعني: ليست الدهلي مدينة بل هي حديقة، فلاتها أحسن من الحديقة. حيثما تنظر تجد كل شارع وسوق مثل الحديقة امتلأت ساحتها بالناس الحسان النضرة كالزهرة. من يعرف لذة العيش في "الدهلي" هو يعرف لذة العيش في مدن العالم كلها، ومن استوطن الهند هو (شاہ جہاں) ملك العالم في عصره.

وهو يصف مدينته الجميلة: الدهلي ويقول: الدهلي ليست مدينة من المدن بل هي حديقة من الحدائق التي فلاتها أحسن من حدائق غيرها. ثم يقول: حيثما تنظر تجد أسواقا مزينة ومتاجر جميلة وطرقاً واسعة،والمدينة كلها مثل بيت العرس الذي امتلأت ساحته بالناس الذين تكون وجوههم كالزهر في النضرة والبهجة. وهناك بهجة في كل شيء، وكل شيء من أشياء مدينتي جذاب ومحبوب، وكل رجل من رجالها جميل وسيم المنظر ومتطيب الشَعر. ومن كان يعرف

لذة العيش في "الدهلي" فهو كأنه يعرف لذة العيش في مدن العالم كلها، كأن الشاعر يدعي بأن كل ثقافة من ثقافات العالم وكل لون من ألوان العيش موجود في مدينته. ثم يدّعي أن الذي استوطن "الدهلي" خاصة أو الهند عامة هوكمن ملك العَالَم في عصره.

تفضيل الوطن على غيره:

قال مصحفي (1164 - 1240هـ)[42] موازناً بين الدهلي ولكهنو:

کیونکر دہلی سے لکھنو ہے خوبنہ وہ کوچے یہاں نہ وہ گلیاں

یارب شہر اپنا چھڑایا تونے ویرانے میں مجھے لابٹھایا تونے[43]

ترجمة: كيف يمكن أن تكون لكنو أجمل من الدهلي، إذ لا تواجد هناك عمارات وشوارع متشابهة لدلهي.يا رب! لماذا عزلتنى عن مدينتى وجئتنى إلى القفروأبقيتنى فيه.

يُفَضِّل الشاعرمدينته: الدهلي على مدينة لكنهو، ويقول: كيف يمكن أن تكون لكنهو أجمل من دهلي مع أن هناك لاتوجد مناسبة بينهما في أي شيئ حتى السكك والشوارع،يعني عندما كانت سكك "الدهلي" أجمل من سكك " لكنهو" فما المشابهة بينهما في الرجال والنساء، والحدائق والقصور؟

ويناجى الشاعر ربه فيقول: يارب! لماذا أبعدتني عن وطني " الدهلي" كأنكجئت بي من المدينة العامرة إلى الخرابة والقفر، وبعبارة أخرى لماذاأخرجتنى من وطني وأبقيتنى في خرابة.

إرسال الأحوال والتحيات إلى الوطن عن طريق الصبا:

أرسل مير تقى مير التحية والسلام إلى الدهلي وسكانه عن طريق الصبا(الريح) قائلاً:

اے صبا گر شہر کے لوگوں میں ہو تیرا گزر کہیو ہم صحرا نوردوں کا تمامی حال زار

خاک دہلی سے کیا ہم کو جدا ایک بار گی آسماں کو تھی کدورت سو نکالا یوں غبار[44]

ترجمة: أيها الصبا إن مررت بسكان مدينتي، بَيِّنِيْ لهم أحوالنا الغرباء السيئة. فقد غضبت علينا السماء وبسبب غضبها وعداوتها رفضتنا من تراب الدهلي فجأة.

خلاصة البحث:

وإذا نظرنا إلى النماذج المذكورة من الشعرين نجد فيها أنَّ الموضوعات والأساليب متجانسة ومتشابهة، وإن دلّ ذلك على شيء فإنه يدل على أن الأفكار والمعانى والعواطف الأساسية مشتركة بين الناس، وكذلك المشاكل والمعاناة التي تواجه البشرخلال البعد عن الوطن متشابهة أيضاً وإن كانت أسباب تلك المشاكل والنكبات مختلفة. فالنماذج المتقدمة ما هي إلا قطرة من بحر شعر الوطن والحنين إليه، وهي تكفي للدلالة على عظم الحب في نفوس أبنائه خصوصاً الذين يضطرون إلى البعد عنه.

وعاطفة حب الوطن فطرية، ويتميز الشاعر بالتعبير عنها لأنه هو اللسان الناطق المعبرعن العاطفة الجياشة بالحب والحنين إلى تراب الوطن وهو قد يتغنى بوصف طبيعة بلده الجميلة، وقد يذكر أنهاره الجارية وحدائقه الخضرة، وقد يسلّي قلبه في المنفى برؤية الطيور والتحدث إليها ظناً أنها جاءت من بساتين وطنه الرائعة. وأحيانا يطمئن بتفضيل بلده على البلاد الأخرى ولاسيما الأَماكن التي يعيش فيها أيام الغربة، وقد يشكو أحواله السيئة في المنفى إلى وطنه كالطفل الذي يشكو حزنه وألمه

إلى أبيه المشفق الذي يدرأ عنه حزنه. وقد يخفف خفقاته بإرسال التحايا والسلام إلى سكان وطنه وأماكنهاالجميلة، وقد يبكي بكاءاً شديداً على الفراق عنه كالطفل الذي فقدأبويه. وهذا هو حال الشاعر البعيد عن وطنه. فما بال الشاعر ذي العاطفة الرقيقة الذي يكون شاهدا على نكبة بلده واحتلاله من قبل الأعداء وتدمير حضارته، وآمال أهله. لاشك أن النكبة تؤثر عليه فينطلق بقصائد في رثاء وطنه تكون أشد عاطفة وتأثيراً في السامعين.

نتائج البحث:

يوجد الحنين إلى الوطن والحب له يعتمد على المعاني والأساليب المتوارثة طيلة العصور الأدبية المختلفة مع اختلاف يسير في مظاهر الشكل والتعبير والتفكير.

إن هذا الموضوع شيق رقيق يليق باهتمام كبير ممن له ارتباط مباشر بالبعد عن وطنه لاسيما الذين يواجهون مشاكل التشرد والتفرق لسبب وقوع وطنهم في أيدى الأعداء.

من ملاحظة النماذج المدروسة يتمكن القارئ من إدراك شدة ألم البعد عن الوطن وعظمته والإحساس بالصعوبات والآلام التي واجهها المتشردون في المنفى والمهجر.

البقاء على عهد المحبة والوفاء للوطن رغم كونهم بعيدا عنه.

الحواشي والمصادر:

[1]- سورة النساء، 66

[2]- وقدأيّد بعض المفسرين هذا المعنى حيث يقول: يسوّي الحق تعالى بين الأمر بقتل النفس والأمر بالإخراج من الديار، فالقتل خروج الروح من الجسد بقوة قسرية غير الموت الطبيعي، والإخراج من الديار هو الترحيل القسري بقوة قسرية خارج الأرض التي يعيش فيها الإنسان، إذن فعملية القتل قرينة لعملية الإخراج من الديار فساعة يُقتل الإنسان فهو يتألم، وساعة يخرج من وطنه فهو يتألم، وكلاهما شاق على الإنسان، ويأتي الحق بهذين الحكمين اللذين سبقا في قوم موسى عليه السلام. انظر: خواطري حول القرآن الكريم، محمد المتولي الشعراوي،1991م، أخبار اليوم،ص: 345/2 www. waqfeya.com/book.php?bid=879 2015/01/20

[3]- التوبة، 24

[4]- مفاتيح الغيب، فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، الطبعة السادسة 1401هـ/1981 م دار الفكرالعربي بيروت، في تفسير الآية :246، سورة البقرة ص: 402/2

[5]- سورة البقرة، 246

[6]- القصص 85

[7]- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لعبد الرحمن السخاوي، الطبعة الخامسة 1965م، دار الكتاب العربي، 298/1، جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى 1420هـ/2000م، مؤسسة الرسالة، ص: 641/19

[8]- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال،على بن حسام الدين الهندي البرهانفورى، الطبعة الخامسة1401هـ/1981م، مؤسسة الرسالة، رقم الحديث: 34706، ص: 210/12. والمنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد بن نصر أبي محمد الكسي، الطبعة الأول 1408هـ /1988م، مكتبة السنة، القاهرة، ص: 177/1

[9]- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الثالثة 1407هـ/ 1987م، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، رقم الحديث: 1790، ص: 667/2

[10]- مسند أحمد بن حنبل، الطبعة الثانية: 1420هـ/1999م، مؤسسة الرسالة، رقم الحديث 24405، ص: 432/4

[11]– الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن على بن حجر العسقلانى، تحقيق :علي بن محمد البجاوي، الطبعة الأولى 1412هـ دار الجبل، بيروت، ص:92/1

[12]– المرجع السابق، ص: 92/1

[13]– الأزمنة والأمكنة، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ص: 189/1، وزهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود بن محمد اليوسى، الطبعة الأولى 1401هـ/1981م، دارالثقافة، الدار البيضاء المغرب، ص: 153/1

[14]– عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة، وأخرجهم بنو خزاعة وأجلوهم إلى اليمن. انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير أبوالفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي بن محمد سلام، الطبعة الثانية 1420هـ/1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع، و الكامل في التاريخ،لابن كثير، الطبعة الأولى 1407هـ/1987 م، ص: 251/1

[15]– هو الإمام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت 213 أو 218 هـ)، نشأ بالبصرة، ونزل مصر واجتمع فيها بالإمام الشافعي، وله المؤلف الشهير في السيرة النبوية. انظر: مقدمة السيرة النبوية لا بن هشام، ت: د/عمر عبد السلام التدمرى، الطبعة الثالثة 1410 هـ/ 1990م دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. ص: 7/1

[16]– المِحَاجِرُ: الحَدَايقُ، ومَوَاضِعٌ يَحْتَبِسُ فيها الماءُ. انظر: المحيط في اللغة، الصاحب إسماعيل بن عباد، تحقيق:محمد حسن آلياسين،2009م، عالم الكتب،بيروت، ص: 178/1

[17]– السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤف سعد،1411هـ، دارالجبل، بيروت، ص: 14/1، ومعجم الشعراء، أبوعبيد الله محمد بن عمران المرزبانى، الطبعة الثانية 1402هـ/1982م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص:3/1، وتاريخ ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، الطبعة الرابعة، دار الفكر، بيروت، ص: 332/2

[18]– معلقة إمرىء القيس، ضمن السبع المعلقات، قديمي كتب خانه آرام باغ كراچي، پاكستان، ص: 2/1

[19] – أبو الوليد عمرو بن الوليد بن أبي معيط (أبان) بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس القرشي الشاعر، لقب بأبي قطيفة لأنه كان كثير شعرالوجه واللحية والصدر. أُسر جده عقبة يوم بدر وقتله رسول الله– صلى الله عليه وسلم – وكان شديد الأذى للنبي في مكة قبل الهجرة. وأبوه الوليد أخٌ لعثمان بن عفان – رضي الله عنه –لأمه.انظر: www.arab-ency.com/index 2015/01/20

[20]– القصر والنخل مواضع بالمدينة، والجمّاء جبل بالمدينة سمي بذلك لأن هناك جبلين هو أقصرهما فكأنه جماء وهو من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق الى الجُرّف. انظر الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري، تحقيق أ.د إبراهيم السامرائى، الطبعة الأولى1857م، النجف، إيران، باب ما في أوله الجيم، ص: 6/1

[21]– معجم الشعراء، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى، الطبعة الثانية 1402هـ/1982م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 21/1

[22]– هو علي بن العباس بن جريج أو جورجيس الرومي (221 – 283 هـ / 836 – 896 م) شاعر كبير من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني العباس.ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموماً قيل دس له السمَّ القاسم بن عبيد الله – وزير المعتضد– وكان ابن الرومي قد هجاه. قال المرزباني: لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس إلا وعاد إليه فهجاه، ولذلك قلّت فائدته من قول الشعر وتحاماه الرؤساء وكان سبباً لوفاته. انظر سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة التاسعة 1413 هـ/ 1993 م مؤسسة الرسالة بيروت، ص: 495/13

[23]– المصون في الأدب، أبوأحمد العسكري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية 1960م، دائرة المطبوعات والنشر بالكويت، ص: 34/1

[24]– هو أبو الحسن محمد بن سفر، من شعراء عصر الموحدين في المأة السادسة، وهو شاعر المرية "بشرقي الأندلس" حيث نشأ وترعرع وأكثر شعره في وصف الطبيعة، قال عنه المقرى التلمساني: أحد الشعراء المتأخرين عصراً المتقدمين قدراً والإحسان. انظر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د/إحسان عباس، طبعة 1388هـ، دار صادر بيروت، ص: 209/1

[25]- المرجع السابق ، ص: 209/1

[26]- هو أبو القاسم، خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوال الخزرجى الأنصارى القرطبى(1101م–1183م) من أئمة محدثي الأندلس ومؤرخيها وعاش في قرطبة وتوفي فيها. وله أكثر من خمسين مؤلفاً؛ من أشهرها كتاب الصلة الذي جمع فيه تراجم لأعيان الأندلس مرتباً أسمائهم ترتيباً أبجدياً.انظر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس الطبعة الأولى 1994م، دار صادر – بيروت. ص: 240/2

[27]- المصدر السابق، ص: 155/1

[28]- العنسي، الأندلسي، الغرناطي، المغربي (610–673هـ) هوأديب، شاعر، لغوي، رحالة، مؤرخ. ولد بغرناطة، ورحل إلى المشرق، فدخل دمشق والموصل وبغداد ومصر، وسكن تونس، ومن تصانيفه الكثيرة: لذة الأحلام في تاريخ أمم الأعجام في نحو مجلدين وريحانة الأدب ونتائج القرائح في مختار المراثي والمدائح والمغرب في حلي المغرب.انظر معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمررضا كحالة، الطبعة الأولى1993م/1414هـ، مؤسسة الرسالة. ص: 249/7

[29]- نفح الطيب للمقرى التلمسانى ص: 271/2

[30]- ديوان ابن خفاجة، أبو إسحاق بن خفاجة الجعوارى الأندلسى، تحقيق السيد غازي، الطبعة الثانية 1960م، منشأة المعارف، ص:62/1

[31]- دواوين الشعرالعربي على مر العصور انظر:*al-adab.blogfa.com*، 109/91، 23 / 03 /2014

[32]- أبوعبد الله محمد بنعمر بن محمد التلمساني الحجري الرعيني، المعروف بابن خميس شاعر(650- 708هـ=1254–1309م)، من أعيان تلمسان،عالم بالعربية، وكان يكتب عن ملوكها ثم فر منه، ومر بسبتة وغيره، واستقر بغرناطة سنة 703هـ وتوفي بها قتيلا، وطبقته في الشعر عالية، وله ديوان سمي ب " المنتخب النفيس في شعر ابن خميس. انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة عشر2002م، دارالعلم للملايين،438/1، والإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب، الطبعة الثانية 1393هـ-1973م، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ص: 332/1

[33]- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص: 376/5، والإحاطة في أخبار غرناطة ص:332/1

[34]- **مرزا محمد رفيع سودا**(1706- 1781م): ولد في دلهي وتربى هنالك إلى أن برع في الشعرالأردي والفارسي، وصاحب الملوك والأمراء، وقال الشعرفي معظم الأنواع الشعرية من القصيدة والمثنوي والمخمس وغيرها، وكذلك تناول أغلب الموضوعات الشعرية من الغزل والمرثية وما إلى ذلك، وله ديوان مطبوع باسم "كليات سودا" .انظر: ***اردوادب کی تاریخ ابتدا سے ۱۸۵۷ تک ڈاکٹر تبسم کاشمیری سنگ میل پبلی کیشنز لاہور،۲۰۰۹م ص:۲۹۲،۲۹۰۔***

[35]- ***آب حیات، محمد حسن آزاد،1987م، کاک آفسیٹ پرنٹنگ پریس دہلی 1/ 2،،وہندوستان کی تحریک آزادی اور اردو شاعری، ڈاکٹر گوپی چند نارنگ،2005م،سنگ میل پبلی کیشنز،لاہور،ص:247/1***

[36]- محمد حسين آزاد :هوناقد مؤرخ كبيرصاحب كتاب شهير في تراجم شعراء اللغة الأردية الذي طبع باسم " آب حيات"

[37]- مير تقي مير(1722- 1810م) ولد في مدينة من مدن الهند " أكبر آباد " وتربى فيها إلى أن توفي أبوه ، ثم هاجر إلى دلهي وعاش هناومارس في الشعر إلى أن أصبح شاعرا كبيرا وزاع صيته فى آفاق الهند، وورث المجتمع مجموعات شعره التي طبعت باسم" كليات مير" . انظر: ***اردوادب کی تاریخ ابتدا سے ۱۸۵۷ تک ڈاکٹر تبسم کاشمیری سنگ میل پبلی کیشنز لاہور،2009م،ص:310-313***

[38]- لكهنو مدينة كبيرة من المدن الهندية وهي منطقة زراعية على بعد 260 ميلاً من دهلي عاصمة الهند، وهى مركز الثقافة الأردية والحضارة المتقدمة ويوجد بها جميع الأشياء التي لابد منها للحياة الإنسانية خاصة مراكز العلم من المدارس والكليات والجامعات وغيرها. انظر: دائرة المعارف الإسلامية الأردية ، ص: 134/18 – 138

[39]- ***آب حیات، محمد حسن آزاد،ص:204***

[40]- ظهورالدين حاتم (1197،1111هـ): شاعرمن شعراء دلهي وقد انقرض الشعر باللغتين الأردية والفارسية، وقال في معظم الأصناف الشعرية، وله ديوان قام بتدوينه بنفسه الذي يتناول أكثرمن أربعة آلاف شعر، وهو أقدم الدواوين الشعرية في شمال الهند.
انظر: **انتخاب کلام حاتم**،ڈاکٹر عبدالحق،اردو اکادمی،دہلی 1991م،ص:8–11

[41]-**تاریخ اردو ادب**،رام بابو سکسینہ 2000م، مطبع جامعہ نگر نئی دہلی،ہند 87،و**ہندوستان کی تحریک آزادی اور اردو شاعری**،ص:250

[42]-غلام همدانی مصحفی(1161هـ 1240هـ) ولد فی " أكبر بور" قرية من قرى الهند وهو شاعر مطبوع كبير باللغة الأردية والفارسية، وله أحد عشر ديوانا من شعره الأردي والفارسي باسم "كليات مصحفي" بالإضافة إلى مؤلفات أخرى كثيرة قيمة. انظر:**کلیات مصحفی**، مجلس ترقی ادب اردولاہور،ص:38،58

[43]-**ہندوستان کی تحریک آزادی اور اردو شاعری**،ڈاکٹر گوپی چند نارنگ،ص:256و**تاریخ اردو ادب**،ص:178

[44]-ایضا،ص:263.